المحاضرة رقم 04 محمد النويهي

ارتبط المنهج النفسي في النقد العربي بقامة نقدية ساهمت بكتاباتها الواعية في الكشف عن معالم هذا المنهج وكيفية استثمار معطياته النظرية في قراءة نصوص شعرية قديمة وحديثة على حد سواء، فمن هو محمد النهويهيّ وكيف تلقى هذا المنهج النقدي؟

1/محمد النويهي/ الملمح السيري المميّز:

محمد محمد الدسوقى النويهي، الملقب بمحمد رشاد النويهى، ولد في 1917/4/20 بقرية ميت حبيش البحرية مركز طنطا، وكان والده من أوائل المتعلمين بالقرية، وعين بالقضاء الوطني بوظيفة مساعد قاض ويطلق علها حاليا أمين سر المحكمة، تلقى تعليمه بمدرسة طنطا الإبتدائية الأميرية، وأثناء دراسته فيها، ألقى الشعر الحماسى ونقله عنه أصدقاؤه وتفوق في اللغة العربية واللغه الإنجليزية، وفى سن 14 اتجه لكتابة الأدب الروائى، وكان أول وآخر رواية كتبها حيث لم تنل استحسان والده. تخرج من مدرسة طنطا الثانوية شعبة أدبي عام 1935 وكان أمله أن يكون ناقدا أدبيا. توفي في 1980، يوم توارى جسد النويهى في مقبرة أسرته، ولكنه يظل حيا ومزهرا بأدبه وإبداعاته وحبه وعشقه لوطنه مصر.

من أهم مؤلفاته:

ثقافة الناقد الأدبي، شخصية بشار، -3نفسية أبى نواس، قضية الشعر الجديد، الشعر الجاهلي: منهج في دراسته وتقويمه. وبعض هذه الكتب في مجلدين يزيد كل مجلد عن 600صفحة. وكلها تتسم بالجدة والنضارة والعمق والذكاء، وتتميز بالعرض المشع الجذاب، والفهم الواعي المستنير.

و للدراسة عن تطبيق منهج نقدي لا بد لنا أن نعلم أهم سمات هذا المنهج حتى نفهم طريقة تطبيقه ونفهم أكثر عن أغراض الناقد.

1/ النقد النفسي (الخلفية المعرفية):

وهو منهج يستمد آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي التي أسسها الطبيب النمساوي سيغموند فرويد فسر على ضوئها السلوك البشري برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور).

إن منطقة اللاشعور هي خزان لمجموعة من الرغبات المكبوتة التي أن تشبع بكيفيات مختلفة فقد نحلم بهذه الرغبات في أحلام يقظة أو نوم ، ونقد نجسدها من مجموعة من الأعمال الإبداعية (شعر ، رسم موسيقى، ...)

يعتبر التحليل النفسي المبدع كائنا غير عادي، بيد أن المحللين النفسيين مختلفون في تصنيفه في خانة الأصحاء أو خانة المرضى، وقد شاعت الفكرة التي تقول أن الفنان مريض مصاب بالعصاب مختل الاتزان،

وأن الفن نتاج جانبي لهذا المرض والاختلال، وأعيدت تلك الفكرة كثيرا ، ويبدو أن علم النفس الحديث قد مدها بالمسوغات، وتنوعت تعليلات المحللين النفسيين لخاصية الإبداع، فقد ردها " فرويد" مثلا إلى حالات الكبت، وأرجعها " أدلر" إلى مركبات النقص، أما " يونج " فقد اعتبر أن المبدع شديد الحساسية يعكس بدرجة شفافية عالية نماذج الإنسان العليا، أما " سارتر " فقد فسرها بكونها تجربة الإنسان الوجودي الذي يصارع في واقع تاريخي لتحقيق ماهيته، وتوالت التفسيرات التي يقترحها المحللون النفسيون لشخصية المبدع وتتعدد، وتتنوع، ولكنها تتفق على تأكيد مسلمات أساسية أهمها :

- أهمية جانب اللاوعي في شخصية المبدع، بكل ما فيه من مخبآت ومكبوتات وعقد .

- ميل المبدع الملحوظ إلى التعبير عن ذاته وبصورة واعية أو بطريقة حالمة، إذ يكشف المبدع عن ذاته أمام الجمهور، ويعرضها، ويعتقد كثير من المحللين النفسانيين أن "الكتاب يوثقون حالاتهم الخاصة إذ يحولون عاهاتهم إلى مادة رئيسية لموضوعاتهم ".

- إن الفنانين يميلون إلى المركب والمعقد، مقابل الإنسان العادي الذي يميل إلى البسيط فهم "يستجيبون للمثيرات أو الموضوعات المعقدة والخصبة، بشكل أفضل مما يستجيب غيرهم ممن لا يتميزون بالإبداع، كما أنهم يميلون إلى معالجة موضوعاتهم من خلال عدد كثير من العناصر، وعلى عدد أكبر من المستويات، وهو ما يحقق لأعمالهم درجة أعلى من الخصوبة كذلك يتميز المبدع بدرجة أعلى من خصوبة الخيال بما يعني قدرته على التحرر من سلطان الواقع المحيط به، ويتيح له الفرص لتناول موضوعه بشكل أكثر تحررا ".

2/ آليات التحليل النفسي :(المستوى التنظيري)

- يعتمد المنهج النفسي في النقد الأدبي طريقة أساسية تقوم على الوصف والتحليل والتفسير، ولها إجراءان مختلفان :

أ/ الأول: يقوم على الاتجاه من الشخصية إلى النص حيث يعمد الناقد إلى **" سيرة الأديب حسبما وضحتها الشواهد والأحداث الخارجية في حياته والرسائل والوثائق الاعترافية الأخرى، ويبني من هذه جميعا نظرية في شخصية الأديب، وفي أنواع الصراع والإخفاق والتجارب الصادمة، والأمراض العصبية أو أي شيء أخر و يستغل هذه النظرية في الكشف عن كل أثر من أثاره الأدبية"**[3]، وذلك بدراسة مراحل نمو الشخصية

و مختلف مظاهر سلوكها و اقتراح فرضية لتفسيرها، وقراءة أعمالها الأدبية في ضوء تلك الفرضية لتأكيدها أو نفيها.

ب/ الثاني : يسعى هذا الإجراء في الاتجاه من النص إلى الشخصية، وذلك بقراءة أعمال الأديب كلها، واقتراح فرضية سيكولوجية لفهم الشخصية، ثم دراسة تاريخ الشخصية في ضوئها، والتماس ما يؤيدها في تفاصيل حياتها .

وبعبارة أخرى فالناقد يستطيع أن يحلل الأثر الأدبي، ويستمد من التحليل استنتاجات حول نفسية صاحبه، ويستطيع أن يتناول جميع نتاج الأديب، ويستمد منه مستخلصات عامة حول حالته الذهنية، يمكن تطبيقها في تفسير أثار بأعيانها.

ولكن هذين الإجراءين المختلفين يتحدان في نتائجهما، ويصلان إلى ضبط مواصفات (أنا) الكاتب، وكشف عقده، وحوافز سلوكه، وإبداعه وتفسير رموز أدبه وتحولاتها، ويتحدان كذلك في منطلقاتهما فهما يعتبران **:" أن التحليل النفسي للأدب لا يختلف عن التحليل النفسي في إطاره العام، وينظران إلى الأدب على أنه " اعتراف على كرسي المحلل النفسي " تتساوى في التعامل معه " منهجيات العلاج النفسي والنقد السيكولوجي فمقابل تداعي الأفكار والخواطر على أريكة المحلل النفسي هناك تنضيد النصوص في المنهج النفسي"** ويقوم المحلل النفسي أو الناقد الأدبي كلاهما بالتأويل وفك شفرة الرموز، اعتمادا على مرجعيات علم النفس النظرية.

<u>3/عيوب النقد النفسي:</u>

- ما يطرحه علم النفس من آراء وأفكار حول النفس البشرية منه ما هو افتراضات لا ترقى إلى مستوى الحقائق .
- هذا المنهج عبارة عن تحليل نفسي يختنق فيه النص الأدبي ، بحيث تضيع معه القيم الفنية والجمالية.
- التركيز على المؤلف وإهمال النص الأدبي
- يسوي هذا المنهج بين النصوص الجيدة والرديئة
- الإفراط في التفسير الجنسي للرموز الفنية .
- الحط من قيمة الإنسان ، وجعله محكوما بالغرائز لاسيما الغريزة الجنسية .

-الربط بين الإبداع والشذوذ.

- أهمل هذا المنهـج تأثر الأدب بالواقع الاجتماعي ، عندا جعل العوامل النفسيــة هي مصـدر الإبداع.

4/ محمد النويهي وتطبيقه للمنهج النفسي:

يعد المنهج النفسي في النقد العربي الحديث من بين أهم المناهج السياقية التي تلقاها النقاد العرب منذ منتصف القرن الماضي عن الآداب الغربية، وعيا منهم بأهمية المنهج النفسي في إثراء الدراسة النقدية للنصوص الأدبية.

اهتم الدارسون والنقاد ممن شغلوا بالاتجاه النفسي، (عباس محمود العقــاد، جورج طرابيشي بشخصيات كثيرة من الشعراء والأدباء العرب في القديم والحديث، وقد كانت دراساتهم حول شخصيات تهتم بإضاءة جانب من الجوانب النفسية لكل شاعر أو أديب، ومدى تأثير ذلك على إبداعه الفني، ولكن هناك مجموعة من الشعراء ترددت بصورة كبيرة على ألسنة النقاد والدارسين من أبناء هذا الاتجاه وحظيت باهتمامهم من أمثال : بشار، أبو تمام، البحتري، المتنبي ... وغيرهم .

طبق النهويهي المنهج النفسي على نفسية أبي نواس، الذي تناوله كل من العقاد والنويهي بناءً على عقدتين متمايزتين، قد أُدرِجَ ذكرهما ضمن علم النفس: الأول بنـاءً على عقـدة النرجسية، والثاني على عقـدة أوديب. وعلى الرغم من أسـبقية العقـاد زمنيـاً في دراسة أبي نواس نفسياً، فقد ارتأيت تقديم دراسة النويهي، نظراً لتمهيده لتطبيق المنهج النفسي على الشاعر بصورة أكثر دقة ووضوحاً، وتشكيل العقدة النفسية التي انطلق منها في تتبُّع شعره التمهيد للعقـدة التي انطلق منها العقاد، وذلك كما سيتبين لاحقاً لدى وصولنا إلى دراسـة هذا الثاني المذكور، هذا مع الإشـارة إلى أنه لا يُفتَرَض بالنويهي أن يكون قد تغافل عن جوهرية العقدة التي اكتشفها لدى الشاعر، وعن ضرورة البحث فيها وتوضيحها بغية التأسيس لبحث الناقد الذي سبقه.

علمـاً أن النويهي حين طَبَّق المنهج النفسي على أبي نواس، لم يفعل ذلك انطلاقاً من إيمانه بجدوى هذا المنهج في الدراسة الأدبية بصورة عامة، إنما من إيمانه بأن شعر أبي نواس وما ينطوي عليه من خصائص معينة لا يمكن أن يُفهَم وتُسبَر أسراره إلا بناءً عليه . فهو إذا ما وجد ضرورة في دراسة نفسية ابن الرومي في كتابه " ثقافـة الناقـد الأدبـي "، فإنه لم يجـد ما يماثلها لدى دراسة " شـخصية بشـار " التي اكتفى بربطها بظروفها السياسية والاجتماعية والفكرية والجسمية، أو لدى دراسـة " الاتجاهـات الشـعرية في السـودان " التـي ربطـها بما يماثـل ظروف بشـار، أو لدى دراسـة " الشـعر الجاهـلي " ، أو " قضيـة الشـعر الجـديد " .

_ أراد النويهـي أن يذهب إلى أن الناقـد حين يلتزم في نقـده بمنهج معـين، لا يحدث ذلك منه بصورة تلقائية غير مدروسة، بقـدر ما يحدث بناءً على ما يفرض كل أدب أو كل عمل أدبي ، بحسب الطابع الذي يسـمه : النفسي أو الاجتماعي أو الأسـطوري. هذا وإن كان من المفترض بالنويهـي ألا يسرف في إحجامه عن

الدرس النفسي في المواضع التي حددها، أو في سواها، نظراً لِما للظروف الذاتية الفردية من دور رئيسي في تكوين الإبداع الأدبي، مهما كان للظروف الأخرى من حضور وطغيان. ونخص هنا ما يتعلق ببشار الذي كان لا بد لحالته الجسمية من أن تنعكس بعمق على تكوينه النفسي.

- إن النويهي ـ ـ لا يستطيع أن يدرس حب الخمرة لدى أبي نواس كما يدرسه لدى الشعراء الآخرين، لأن هذا الحب قد تحوَّل إلى خلاصة لأساس الشاعر النفسي المعقد، ولأن الخمرة لم تَعُد تشكّل لديه مجرد ذلك الشراب الذي يمنح الشاربين الإحساس بالبهجة والمتعة، بل تحوّلت إلى ذلك الكائن الحي الذي لا يستطيع الانفصال عنه، أو بالأحرى إلى شقيقة الروح التي ذكرها صراحة في بيت له، فمثلَتْ إذ هي في متناوله البديل والمعوض عن المرأة التي كانت عنه بعيدة المنال: الأم أو الحبيبة :

وبصورة أكثر تفصيلاً منا: الأم التي تشكلت لديه حيالها عقدة أوديب، بفعل تماسِّه معها منذ طفولته دون الأب المفقود، وحُرِّمَتْ عليه بناءً على ما تفرِض الأحكام الدينية والأخلاقية والاجتماعية. هذا بالإضافة إلى انصرافها عن خصِّه بمفرده بالحدب والحنان بعد زواجها الثاني من غير أبيه. أما الحبيبة، فهي التي لم تبادله الحب، ولم تشبع ميله الفطري إلى الأنثى، ربما نفوراً مما علمَتْ من سلوكه الشاذ، أو لِما أُشيع عنها ـ هي الأخرى ـ من اتخاذها سلوكاً مماثلاً تجاه الإناث.

-لا شك في أن النويهي قد أراد من خلال توضيحه تعويض خمرة أبي نواس عن المرأة أن يُذَكِّر بنظرية " أدلر " التي تقوم في أساسها على محاولة الإنسان من خلال ما يتخذ أحياناً من سلوك متميز خاص به أن يعوض عن مركب النقص الذي ربما يشعر بوجوده لديه بصورة واضحة .

كما تجلى للنويهي في موضع آخر تمثيل خمرة أبي نواس للمرأة بصورتها العامة الشاملة ، حين وصف الشاعر عطفه عليها وتدلهه بها وعدم تمكنه من فصل وجوده عن وجودها . علماً أنه كان بإمكان الناقد أن يتبين ذلك كله مكثفاً في كلمة " هوىً " التي برهنت بصورة واضحة كما عبارة " شقيقة الروح " على العلاقة الخاصة التي تربط الشاعر بالخمرة كما لو أنها امرأة حقيقية.

ـ الناقد اكتفى من هذا بأن استخلص الدافع الذي حدا بالسُّذَّج إلى تقديس الخمرة ، وتأليهها في بدايات الحياة البشرية ، دون أن يمتد إلى استخلاص ما يمكن أن تكون قد لبَّتْ للشاعر لدى إمداده بالحياة والروح هاتين من غريزة البقاء التي اهتمّ بإيرادها علم النفس ، والتي تأصّلَتْ لدى كل إنسان بصورة عامة ، ولدى أبي نواس وأمثاله الذين اتخذوا مذهب الإقبال على الدنيا وملذاتها بصورة خاصة .

ـ انطلاق النويهي لدى دراسته نفسية أبي نواس من عقدة أوديب التي تعني تعلُّق الابن بأمه ، انطلق العقاد لدى دراسته الشاعر ذاته ـ وفق المنهج ذاته ـ من عقدة أخرى هي النرجسية التي تعني عشق الإنسان لذاته الفردية دون سواها.

<u>بعض المراجع المعتمدة فى المحاضرة:</u>

- يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ،2007 .

- النويهي ، محمد م. نفسية أبي نواس ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، د – ت .

-الحفنـي، عبد المنعم ع. موسوعة الطب النفـسي ـ الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسـياً ، المجلد الأول، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995.

-مجموعة من المؤلفين. جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي ، إعداد وترجمة عبد المقصود عبد الكريم ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 1999